مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الرَّابِعَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ) وَأُرْسِلَ بِـ(الْمُدَّثِرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ .....

---

* **قُلْتُ:** النَّبِيُّ ﷺ قُرَشِيٌّ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَالْعَرَبُ عَارِبَةٌ وَمُسْتَعْرِبَةٌ، الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ بَائِدَةٌ وَبَاقِيَةٌ، أَمَّا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ الْبَائِدَةُ فَقَوْمُ عَادٍ وَثَمُودَ وَشُعَيْبٍ، وَأَمَّا الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ الْبَاقِيَةُ فَهُمُ الْقَحْطَانِيَّةُ، وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرِبَةُ فَهُمُ الْعَدْنَانِيَّةُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَىٰ التَّسْلِيمِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (الْأَصْلُ الثَّالِثُ): أَيْ: مِنَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ.

وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَتَتَضَمَّنُ خَمْسَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: مَعْرِفَتُهُ نَسَبًا فَهُوَ أَشْرَفُ النَّاسِ نَسَبًا فَهُوَ هَاشِمِيٌّ قُرَشِيٌّ عَرَبِيٌّ، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ... إِلَىٰ آخِرِ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ.

* **قُلْتُ**: وَلَهُ ﷺ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: « **أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَىٰ بِي الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **الثَّانِي**: مَعْرِفَةُ سِنِّهِ، وَمَكَانِ وِلَادَتِهِ، وَمُهَاجَرِهِ وَقَدْ بَيَّنَهَا الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: «وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ» فَقَدْ وُلِدَ بِمَكَّةَ [عَامَ الْفِيلِ] وَبَقِيَ فِيهَا ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَبَقِيَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِيهَا فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ.

الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ حَيَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ وَهِيَ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً؛ فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً كَمَا قَالَ أَحَدُ شُعَرَائِهِ:

وَأَتَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ فَأَشْرَقَتْ ... شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْهُ فِي رَمَضَانِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ١٧: ١، رَقْمُ ٣٥٣٢)، وَفِي (التَّفْسِيرِ، ٦١، رَقْمُ ٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْفَضَائِلِ، ٣٤: ١، رَقْمُ ٢٣٥٤)، مِنْ حَدِيثِ: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* **قُلْتُ:** النَّبِيُّ ﷺ، هُوَ: أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ شَيْبَةُ الْحَمْدِ بْنُ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ، وَاسْمُهُ زَيْدُ بْنُ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وَإِلَىٰ هُنَا يَنْتَهِي النَّسَبُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

وَعَدْنَانُ بِلَا شَكٍّ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَىٰ إِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحِ رَسُولِ اللهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ وَرَسُولِهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ جَمِيعِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا-.

وَالنَّبِيُّ ﷺ تُوُفِّيَ فِي الْمَدِينَةِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ اضْطَرَبَ الْمُسْلِمُونَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ دُهِشَ فَخُولِطَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يُطِقْ، وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتُقِلَ لِسَانُهُ فَحُبِسَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ كَلَامًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ مَوْتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَقَالَ: إِنَّما بُعِثَ إِلَيْهِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: الرَّابِعُ: بِمَاذَا كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا؟

فَقَدْ كَانَ نَبِيًّا حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١- ٥]، ثُمَّ كَانَ رَسُولًا حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١- ٧]، فَقَامَ ﷺ فَأَنْذَرَ وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ ﷻ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ -كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ-: أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ، وَالرَّسُولُ مَنْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا.

* **قُلْتُ:** مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ**﴾ [الحج: ٥٢]، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ، وَكَذَلِكَ مَجِيءُ (لَا) فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَلَا نَبِيٍّ**﴾، ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ**﴾ فَجَاءَتْ (لَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ غَيْرُ الرَّسُولِ.

الرُّسُلُ جَمْعُ رَسُولٍ وَهُوَ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ كِتَابًا، لَكِنْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ حُكْمًا لَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ، وَأَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ مَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ دُونَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، أَوْ يُوحِيَ إِلَيْهِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ نَاسِخٍ أَوْ غَيْرِ نَاسِخٍ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَقِيلَ هُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

كُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، هَذَا هُوَ الْأَصَحُّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ**﴾ [المائدة: ٤٤]، فَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَاةِ مَعَ أَنَّ التَّوْرَاةَ أُنْزِلَتْ عَلَىٰ نَبِيٍّ مِنْهُمْ وَهُوَ مُوسَىٰ عليه السلام، فَنَعْرِفُ هَذَا عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ نَعْرِفُ بِمَاذَا كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، كَانَ نَبِيًّا بِـ(اقْرَأْ) وَكَانَ رَسُولًا بِـ(الْمُدَّثِّرِ) ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَامِسُ: بِمَاذَا أُرْسِلَ وَلِمَاذَا؟ فَقَدْ أُرْسِلَ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَشَرِيعَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَأُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ظُلْمَةِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ؛ حَتَّىٰ يَنَالُوا بِذَلِكَ مَغْفِرَةَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ وَيَنْجُوا مِنْ عِقَابِهِ وَسَخَطِهِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾، وَمَعْنَىٰ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ : يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ:عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ): أَيْ يُنْذِرُهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: النِّدَاءُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

* **قُلْتُ:** وَالْمُدَّثِّرُ: الْمُلْتَحِفُ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ يَقُولُ ﷺ: «**دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، ٧٤: ١، رَقْمُ ٤٩٢٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٣: ٤، رَقْمُ ١٦١)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يَأْمُرُ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُومَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ، وَيُنْذِرَ النَّاسَ عَنِ الشِّرْكِ وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْهُ، وَقَدْ فَسَّرَ الشَّيْخُ هَذِهِ الْآيَاتِ.

* **قُلْتُ:** فَقَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَهَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

«**وَمَعْنَىٰ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا**».

فَالْآيَاتُ كُلُّهَا فِي الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ عَلَىٰ هَذَا التَّفْسِيرِ.

«الرُّجْزُ فِي الْأَصْلِ: الْعَذَابُ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَىٰ مَا يُوجِبُ الْعَذَابَ، وَمِنْ ذَلِكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَأَعْمَالُ الشَّرِّ كُلُّهَا.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: لَا تَمُنَّ حَالَ كَوْنِكَ مُسْتَكْثِرًا، وَالْمَعْنَىٰ لَا تَمْنُنْ عَلَىٰ رَبِّكَ بِمَا تَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْبَاءٍ كَالَّذِي يَسْتَكْثِرُ مَا يَتَحَمَّلُهُ بِسَبَبِ الْغَيْرِ، قَالَه الْحَسَنُ[1] وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ[2]، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ[3] هَذَا الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ،

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» فِي (الْبُيُوعِ، ٣٩٥: ٥، رَقْمُ ٢٢٦٦٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٤١٥)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٤١٥، دَارُ هَجَرَ)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٣) «تَفْسِيرُهُ» (٢٣/ ٤١٦).

وَقِيلَ: لَا تُعْطِ الْعَطِيَّةَ تَلْتَمِسُ أَكْثَرَ مِنْهَا. هَذَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ(١) وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَاخْتَارَهُ ابْنُ كَثِيرٍ(٢).

فَفَسَّرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣/ ٤١٢)، بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ.
(٢) «تَفْسِيرُهُ» (٨/ ٢٦٤، دَارُ طَيْبَةَ).

المِعْرَاجُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَقِيَ عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ ﷻ.

وَالْعُرُوجُ الصُّعُودُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

* **قُلْتُ:** وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِالشَّرْعِ، وَلَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا مَدْخَلٌ.

وَالْجُمْهُورُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ وَقَعَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْيَقَظَةِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ؛ لِأَنَّ قُرَيْشًا أَكْبَرَتْهُ وَأَنْكَرَتْهُ، وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ تُنْكِرْهُ؛ لِأَنَّهَا لَا تُنْكِرُ الْمَنَامَاتِ.

وَالْإِسْرَاءُ لُغَةً: السَّيْرُ لَيْلًا.

www.menhag-un.com

وَشَرْعًا: سَيْرُ جِبْرِيلَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ عُرُوجُهُ ﷺ عَلَىٰ الْمِعْرَاجِ.

وَالْمِعْرَاجُ لُغَةً: الْآلَةُ الَّتِي يُعْرَجُ بِهَا، وَهِيَ الْمِصْعَدُ.

وَشَرْعًا: السُّلَّمُ الَّذِي عَرَجَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَرْضِ إِلَىٰ السَّمَاءِ.

الْمِعْرَاجُ ثَابِتٌ بِالسُّنَّةِ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا، وَأَمَّا الْإِسْرَاءُ فَثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

«وَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً عَلَىٰ مَا لَاقَاهُ الْخَلِيلُ ﷺ مِنْ أَتْرَاحٍ وَأَحْزَانٍ وَآلَامٍ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَا لَاقَاهُ النَّبِيُّ ﷺ أَثْنَاءَ الْحِصَارِ مِنْ جُوعٍ وَحِرْمَانٍ، إِنَّهُ ﷺ وَقَعَ لَهُ هَذَا الْحَدَثُ الْفَرِيدُ بَعْدَ فَقْدِ النَّاصِرِ الْحَمِيمِ وَفَقْدِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ بَعْدَ خَيْبَةِ الْأَمَلِ فِي ثَقِيفٍ وَمَا نَالَهُ مِنْ سُفَهَائِهَا وَصِبْيَانِهَا وَعَبِيدِهَا، بَعْدَ هَذِهِ الْآلَامِ كَافَأَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلِيلَهُ ﷺ فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الرِّضَا مَا أَنْسَاهُ كُلَّ مَا كَانَ قَدْ لَاقَاهُ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ وَنَصَبٍ وَتَعَبٍ، وَمَا قَدْ يُلَاقِيهِ بَعْدُ فِي سَبِيلِ إِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ، فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَكَرَ اللهَ الذَّاكِرُونَ وَمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ»(١).

---

(١) «هَذَا الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَا مُحِبُّ» لِلشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ جَابِرٍ الْجَزَائِرِيِّ (ص١٣٥، دَارُ الشُّرُوقِ - جُدَّةُ).

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ الْعَظِيمَةِ الَّتِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ فِي الْكَعْبَةِ أَتَاهُ آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَىٰ أَسْفَلِ بَطْنِهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَ قَلْبَهُ فَمَلَأَهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا تَهْيِئَةً لِمَا سَيَقُومُ بِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ يُقَالُ لَهَا: الْبُرَاقُ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرَفِهِ فَرَكِبَهُ ﷺ وَبِصُحْبَتِهِ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ حَتَّىٰ وَصَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ هُنَاكَ وَصَلَّىٰ بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا، بِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ يُصَلُّونَ خَلْفَهُ؛ لِيَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ فَضْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَرَفُهُ، وَأَنَّهُ الْإِمَامُ الْمَتْبُوعُ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ لَهُ فَوَجَدَ فِيهَا آدَمَ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَإِذَا عَلَىٰ يَمِينِ آدَمَ أَرْوَاحُ السُّعَدَاءِ وَعَلَىٰ يَسَارِهِ أَرْوَاحُ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَىٰ الْيَمِينِ سُرَّ وَضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَىٰ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ابْنُ خَالَةِ الْآخَرِ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَانِ يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَرَدَّا السَّلَامَ وَقَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ فَوَجَدَ فِيهَا إِدْرِيسَ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ أَخَا مُوسَىٰ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا مُوسَىٰ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا مُوسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزَهُ بَكَىٰ مُوسَىٰ فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: «أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي»، فَكَانَ بُكَاءُ مُوسَىٰ؛ حُزْنًا عَلَىٰ مَا فَاتَ أُمَّتَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ لَا حَسَدًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ عَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ... إلخ. فَوَجَدَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ﷺ فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

وَإِنَّمَا طَافَ جِبْرِيلُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ؛ تَكْرِيمًا لَهُ وَإِظْهَارًا لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ ﷺ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الَّذِي يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَتَعَبَّدُونَ وَيُصَلُّونَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ وَلَا يَعُودُونَ، فِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَأْتِي غَيْرُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ.

ثُمَّ رُفِعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ فَغَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مِنَ الْبَهَاءِ وَالْحُسْنِ مَا غَشِيَهَا، حَتَّىٰ لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، ثُمَّ فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَرَضِيَ بِذَلِكَ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَزَلَ فَلَمَّا مَرَّ بِمُوسَىٰ قَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ وَقَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، وَمَا زَالَ يُرَاجِعُ رَبَّهُ حَتَّىٰ اسْتَقَرَّتِ الْفَرِيضَةُ عَلَىٰ خَمْسٍ، فَنَادَىٰ مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَلَىٰ عِبَادِي.

وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أُدْخِلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَّةَ بِغَلَسٍ وَصَلَّىٰ فِيهَا الصُّبْحَ[1].

❁ ❁ ❁

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٦: ١، رَقْمُ ٣٢٠٧) وَفِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٢: ١، رَقْمُ ٣٨٨٧) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٧٤: ٦، رَقْمُ ١٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ .....

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ يُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ رَكْعَتَيْنِ حَتَّىٰ هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ.

* **قُلْتُ:** أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « **فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَىٰ الْأُولَىٰ**»(١).

وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»(٢)، وَعِنْدَهُ قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**فُرِضَتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ زِيدَ فِي صَلَاةِ**

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٨: ٢، رَقْمُ ٣٩٣٥)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ فِي (صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، ١: ١، رَقْمُ ٦٨٥).

(٢) فِي «صَحِيحِهِ» (٢٧٣٨)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْمُ ٣٠٥، و٩٤٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٨١٤).

الْحَضَرِ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ لِطُولِ الْقِرَاءَةِ، وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ؛ لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ».

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ): أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ مَنَعُوهُ أَنْ يُقِيمَ دَعْوَتَهُ، وَفِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الْبَعْثَةِ وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ الْبَلَدِ الْأَوَّلِ لِلْوَحْيِ وَأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا بِإِذْنِ رَبِّهِ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ وَأَكَابِرِهِمْ سِوَىٰ الرَّفْضِ لِدَعْوَتِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالْإِيذَاءِ الشَّدِيدِ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ، حَتَّىٰ آلَ الْأَمْرُ بِهِمْ إِلَىٰ تَنْفِيذِ خُطَّةِ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيْثُ اجْتَمَعَ كُبَرَاؤُهُمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَتَشَاوَرُوا مَاذَا يَفْعَلُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْا أَصْحَابَهُ يُهَاجِرُونَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ وَيَجِدَ النُّصْرَةَ وَالْعَوْنَ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ لَهُ الدَّوْلَةُ عَلَىٰ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ: الرَّأْيُ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًىٰ شَابًّا جَلْدًا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ سَيْفًا صَارِمًا ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ وَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ -يَعْنِي عَشِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ- أَنْ يُحَارِبُوا قَوْمَهُمْ جَمِيعًا، فَيَرْضَوْنَ بِالدِّيَةِ فَنُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا.

فَأَعْلَمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ وَأَذِنَ لَهُ بِالْهِجْرَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَدْ تَجَهَّزَ مِنْ قَبْلُ لِلْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه؛ **لِيَصْحَبَ النَّبِيَّ** ﷺ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ -بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ- إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فَأَقَامَا فِي غَارِ جَبَلِ ثَوْرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا ذَكِيًّا وَاعِيًا فَيَنْطَلِقُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ مَكَّةَ فَيُصْبِحُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَا يَسْمَعُ بِخَبَرٍ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِهِ إِلَيْهِمَا حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، ٤٥: ٩، رَقْمُ ٣٩٠٥) وَفِي مَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَطْلُبُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَتَسْعَىٰ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ؛ لِيُدْرِكُوا النَّبِيَّ ﷺ حَتَّىٰ جَعَلُوا لِمَنْ يَأْتِي بِهِمَا أَوْ بِأَحَدِهِمَا دِيَتَهُ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَلَكِنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُمَا يَحْفَظُهُمَا بِعِنَايَتِهِ وَيَرْعَاهُمَا بِرِعَايَتِهِ حَتَّىٰ إِنَّ قُرَيْشًا لَيَقِفُونَ عَلَىٰ بَابِ الْغَارِ فَلَا يَرَوْنَهُمَا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»(١)، «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»(٢). حَتَّىٰ إِذَا سَكَنَ الطَّلَبُ عَنْهُمَا قَلِيلًا خَرَجَا مِنَ الْغَارِ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ مُتَّجِهِينَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ عَلَىٰ طَرِيقِ السَّاحِلِ.

وَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، كَانُوا يَخْرُجُونَ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ إِلَىٰ الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَحْبِهِ حَتَّىٰ يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشَّمْسِ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَعَالَىٰ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ رَجَعُوا إِلَىٰ بُيُوتِهِمْ، وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ يَنْظُرُ لِحَاجَةٍ لَهُ فَأَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مُقْبِلِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ نَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ -يَعْنِي هَذَا حَظُّكُمْ وَعِزُّكُمْ- الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٠: ١، رَقْمُ ٣٦٥٢)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٩: ١، رَقْمُ ٢٠٠٩)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ، ٣٠: ٢، رَقْمُ ٣٦٥٣)، وَمُسْلِمٌ فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ١: ١، رَقْمُ ٢٣٨١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رضي الله عنه.

فَهَبَّ الْمُسْلِمُونَ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُمُ السِّلَاحُ؛ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِيذَانًا بِاسْتِعْدَادِهِمْ لِلْجِهَادِ وَالدِّفَاعِ دُونَهُ ﷺ، فَتَلَقَّوْهُ ﷺ بِظَاهِرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَنَزَلَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فِي قُبَاءَ، وَأَقَامَ فِيهِمْ بِضْعَ لَيَالٍ وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَالنَّاسُ مَعَهُ وَآخَرُونَ يَتَلَقَّوْنَهُ فِي الطُّرُقَاتِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: خَرَجَ النَّاسُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فِي الطُّرُقِ وَعَلَىٰ الْبُيُوتِ، وَالْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ يَقُولُونَ: اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ، اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ مُحَمَّدٌ[1].

❁❁❁

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٢ - ٣، رَقْمُ ٣)، مِنْ حَدِيثِ: الْبَرَاءِ رضي الله عنه، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

تَعْرِيفُ الْهِجْرَةِ، وَحُكْمُهَا، وَالدَّلِيلُ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ .....

---

* **قُلْتُ:** وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ الْهِجْرَةِ مَعَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ كَمَا تَرَىٰ؛ لِبَيَانِ أَنَّ الْهِجْرَةَ مِنْ أَبْرَزِ تَكَالِيفِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

وَبَلَدُ الشِّرْكِ: هُوَ الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ، وَلَا تُقَامُ فِيهِ الشَّعَائِرُ وَالْأَحْكَامُ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وَأَهَمُّ الشَّعَائِرِ الصَّلَاةُ، فَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَدِ فَهُوَ بَلَدٌ إِسْلَامِيٌّ، أَمَّا إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ يُقِيمُهَا أَفْرَادٌ أَوْ جَمَاعَاتٌ وَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلَدِ فَلَا يُحْكَمُ عَلَى الْبَلَدِ بِأَنَّهُ بَلَدٌ إِسْلَامِيٌّ، كَالْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَلَكِنْ عَلَىٰ نِطَاقٍ ضَيِّقٍ فِي حُدُودِ مُجْتَمَعِهِمُ الَّذِي

يَعِيشُونَ فِيهِ، أَوْ فِي حُدُودِ بِيئَتِهِمْ، وَلَكِنَّ الْبَلَدَ الَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ أَوْ هُمْ مِنْ أَهْلِهِ لَا تُقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ بِوَجْهٍ عَامٍّ بِحَيْثُ لَا يُسْمَعُ عِنْدَهُمُ الْأَذَانُ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ، هَذَا لَا يُعَدُّ بَلَدًا إِسْلَامِيًّا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْهِجْرَةُ فِي اللُّغَةِ: «مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْهَجْرِ وَهُوَ التَّرْكُ».

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ فَهِيَ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ: «الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ».

* **قُلْتُ:** وَلَكِنْ زَادَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ هَذَا التَّعْرِيفِ قَيْدًا آخَرَ قَالَ: أَوْ الِانْتِقَالُ مِنْ دَارِ الْخَوْفِ إِلَىٰ دَارِ الْأَمْنِ.

وَعَلَيْهِ تَتَنَزَّلُ هِجْرَةُ الْأَصْحَابِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَلَمْ تَكُنِ الْحَبَشَةُ عِنْدَ هِجْرَةِ الْأَصْحَابِ دَارَ إِسْلَامٍ، كَانَتْ مَكَّةُ دَارَ كُفْرٍ وَخَوْفٍ وَلَمْ تَكُنِ الْحَبَشَةُ وَقَدْ هَاجَرَ إِلَيْهَا الْأَصْحَابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ تَكُنْ دَارَ إِسْلَامٍ، لَمْ تَكُنْ تُقَامُ بِهَا الشَّعَائِرُ، وَلَا يُؤَذَّنُ فِيهَا بِالصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ دَارَ كُفْرٍ، وَمَعَ ذَلِكَ هَاجَرَ الْأَصْحَابُ، هَذِهِ هِجْرَةٌ، فَهِيَ أَيْضًا الِانْتِقَالُ مِنْ دَارِ الْخَوْفِ إِلَىٰ دَارِ الْأَمْنِ.

وَعَلَيْهِ يَتَنَزَّلُ هِجْرَةُ الْأَصْحَابِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ وَلَمْ تَكُنْ دَارَ إِسْلَامٍ، فَهَذَا قَيْدٌ مُهِمٌّ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبَلَدُ الشِّرْكِ هُوَ الَّذِي تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْكُفْرِ وَلَا تُقَامُ فِيهِ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ كَالْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ جَمَاعَةً، وَالْأَعْيَادِ، وَالْجُمُعَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ

عَامٍّ شَامِلٍ، وَإِنَّمَا قُلْنَا عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ؛ لِيَخْرُجَ مَا تُقَامُ فِيهِ هَذِهِ الشَّعَائِرُ عَلَىٰ وَجْهٍ مَحْصُورٍ كَبِلَادِ الْكُفَّارِ الَّتِي فِيهَا أَقَلِّيَّاتٌ مُسْلِمَةٌ، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ بِلَادَ إِسْلَامٍ بِمَا تُقِيمُهُ الْأَقَلِّيَّاتُ الْمُسْلِمَةُ فِيهَا مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، أَمَّا بِلَادُ الْإِسْلَامِ فَهِيَ الْبِلَادُ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا هَذِهِ الشَّعَائِرُ عَلَىٰ وَجْهٍ عَامٍّ شَامِلٍ.

* **قُلْتُ:** قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «**وَهِيَ** -يَعْنِي الْهِجْرَةَ- **بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

الْهِجْرَةُ قَرِينَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهِيَ فَرِيضَةٌ بَاقِيَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْهِجْرَةِ أَنْ يُهَاجِرَ، وَيَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ وَلَكِنْ بِشُرُوطٍ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُقِيمَ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِظْهَارِ دِينِهِ، قَالَ ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).(٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ): فَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ لَا يَسْتَطِيعُ إِظْهَارَ دِينِهِ فِي بَلَدِ الْكُفْرِ فَلَا يَتِمُّ إِسْلَامُهُ إِذَا كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ إِظْهَارَهُ إِلَّا بِالْهِجْرَةِ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي (الْجِهَادِ، ٢: ١، رَقْمُ ٢٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ: مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (١٢٠٨).

(٢) «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ (ص٢٦٦ - ٢٦٧، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ).

قَوْلُهُ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾): فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَوَفَّاهُمْ وَتُوَبِّخُهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، أَمَّا الْعَاجِزُونَ عَنِ الْهِجْرَةِ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ؛ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْهِجْرَةِ، وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

* **قُلْتُ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾ أَيْ تَتَوَفَّاهُمْ بِحَذْفِ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ تَتَوَفَّاهُمْ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْوُجُوبِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الْمَلَائِكَةُ هُنَا: مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ، تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْوُجُوبِ ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عَاجِزِينَ لَا نَسْتَطِيعُ.

﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ كَانَ بِإِمْكَانِكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا وَأَنْ تُهَاجِرُوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَذَكَرَ شَرْطَيْنِ؛ لِيَتِمَّ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَىٰ وَجْهِهِ:

www.menhag-un.com

الْأَوَّلُ: الْقُدْرَةُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ

وَالثَّانِي: عَدَمُ التَّمَكُّنِ مِنْ إِظْهَارِ الدِّينِ

فَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الْهِجْرَةِ وَغَيْرَ مُمَكَّنٍ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ وَلَمْ يُهَاجِرْ دَخَلَ فِي الْوَعِيدِ وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ الْهِجْرَةِ وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ غَيْرَ مُمَكَّنٍ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَذَكَرَ شَرْطَيْنِ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ هَؤُلَاءِ لَا يَقْدِرُونَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com